



تحليل مشروع التراث والتجديد عند حسن حنفي وموقفه من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر دراسة تحليلية نقدية

سعاد ناجي التلوع

قسم الفلسفة والدراسات الإسلامية شعبه (الفلسفة) – الأكاديمية الليبية جنزور

**An Analysis of Hassan Hanafi's Project of Heritage and Renewal and His Stance on
Contemporary Islamic Thought Issues: A Critical Analytical Study**

Suad Naji Al-Talou

Department of Philosophy and Islamic Studies, Philosophy Division – Libyan

Academy, Janzour

Mmfhsh1973@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2026/06/30 – تاريخ المراجعة: 2026/07/18 – تاريخ القبول: 2026/07/28 – تاريخ النشر: 2026/8/16

الملخص

تناول البحث مشروع التراث والتجديد عند المفكر المصري حسن حنفي باعتباره واحدا من أهم المشاريع الفكرية التي سعت إلى إعادة قراءة الموروث الإسلامي وتوظيفه في مواجهة قضايا الواقع المعاصر. وينطلق البحث من إشكالية إلى أي مدى نجح حنفي في تحويل التراث من نص مغلق إلى أداة عملية للنهضة والتغيير الاجتماعي، وما حدود هذا المشروع ومآزقه المنهجية؟ وقد اعتمد البحث المنهج التحليلي في تفكيك بنية المشروع ومركزاته، والمنهج النقدي في تقييم مقولاته، مع الاستعانة بالمقارنة عند الحاجة بمشاريع معاصرة كمشروع الجابري وأركون. وخلص إلى أن حنفي أرسى رؤية شاملة تقوم على الوعي بالتراث والوعي بالواقع والوعي بالآخر، وأنه أعاد بناء علوم التراث — من أصول الدين إلى أصول الفقه — على قاعدة تأويلية ظاهراتية توجه النص نحو الواقع، غير أن المشروع ظل يعاني من غلبة البعد الأيديولوجي على البعد المعرفي، ومن صعوبة تنزيل مقولاته على أرض الممارسة، وهو ما اعترف به حنفي ذاته في نقده الذاتي.

الكلمات المفتاحية: حسن حنفي، التراث والتجديد، تجديد الفكر الإسلامي، اليسار الإسلامي، علم الاستغراب، الخطاب الديني، الأصالة والمعاصرة.

Abstract

This study examines the “Heritage and Renewal” (al-Turāth wa al-Tajdīd) project of the Egyptian thinker Hasan Hanafi (1935–2021) as one of the most ambitious intellectual attempts to re-read the Islamic heritage and employ it in confronting the challenges of contemporary reality. It addresses a central question: to what extent did Hanafi succeed in transforming heritage from a closed text into a practical instrument for renaissance and social change, and what are the methodological limits and impasses of this project? Adopting an analytical-critical approach, supported by comparison with the projects of al-Jabri and Arkoun when needed, the study concludes that Hanafi built a comprehensive vision resting on three modes of consciousness—consciousness of heritage, of reality, and of the other—and that he

reconstructed the traditional Islamic sciences on a phenomenological–hermeneutic basis oriented toward reality. Nevertheless, the project remained burdened by the dominance of the ideological over the epistemic dimension and by the difficulty of translating its theses into practice, a shortcoming Hanafi himself acknowledged in his self–critique.

Keywords: Hasan Hanafi, Heritage and Renewal, renewal of Islamic thought, the Islamic Left, Occidentalism, religious discourse, authenticity and modernity.

المقدمة

شكلت إشكالية التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر محورا مركزيا في مشروع النهضة العربية منذ القرن التاسع عشر، إذ وجد المسلمون أنفسهم أمام سؤال حضاري ضاغط: كيف السبيل إلى استئناف الفعل الحضاري في مواجهة التحدي الغربي من جهة، وثقل الموروث من جهة أخرى؟ وقد تعددت الأجوبة بين تيار سلفي يرى الخلاص في العودة إلى النص، وتيار حداثي يرى الحل في القطيعة معه، وتيار توفيقي يسعى إلى الجمع بين الأصالة والمعاصرة، وفي هذا الفضاء المتوتر برزت مشاريع قراءة التراث بوصفها محاولة منهجية لتجاوز ثنائية القبول والرفض

يعد مشروع حسن حنفي التراث والتجديد من أنضج المحاولات وأكثرها طموحا، فقد أدرج المفكر مختلف أعماله ضمن خطاطة عامة رسم ملامحها في كتابه التأسيسي التراث والتجديد: موقفنا من التراث القديم (1980)، ثم أفنى فيه عمره باحثا ومؤسسا لما يمكن تسميته أيديولوجيا الواقع ولم يكن حنفي مفكرا منعزلا، بل ارتبط اسمه بجيل من المفكرين العرب — كمحمد عابد الجابري ومحمد أركون — انخرطوا جميعا في ربط سؤال النهضة بإعادة بناء الموروث الثقافي

وتتبع أهمية دراسة هذا المشروع من كونه لا يمثل مجرد قراءة نظرية للتراث، بل مشروعا عمليا يبتغي التأثير في الواقع أكثر من ابتغائه اكتشاف حقيقة في الوجود أو المعرفة، ومن ثم فإن تحليله يفتح بابا لفهم إحدى أهم استراتيجيات التعامل مع التراث في الفكر العربي المعاصر، ويكشف عن حدود توظيف المناهج الغربية الحديثة — كالظاهراتية والتأويلية — في قراءة النص الإسلامي

ويكتسب الموضوع راهنية إضافية بعد رحيل حنفي عام 2021م، إذ فتح رحيله بابا واسعا لإعادة تقييم مشروعه بعيدا عن سجلات حياته، وأتاح النظر إليه بوصفه تجربة مكتملة يمكن الحكم على ثمارها ومآلاتها، فقد امتد المشروع أربعة عقود منذ مطلع الثمانينيات، وتوزع على عشرات المؤلفات التي أدرجها صاحبها كلها تحت مظلة التراث والتجديد وتقتضي دقة البحث تحديد مصطلحاته المركزية، فالتراث يقصد به هنا المعنى الحنفي الخاص، أي الماضي المستمر في الحاضر لا مجرد النصوص المنقضية، والتجديد يقصد به إعادة البناء من الداخل لا الإصلاح الجزئي ولا القطيعة، والمشروع يقصد به البنية الكلية المترابطة التي تجمع أعمال حنفي في وحدة منهجية واحدة، وبهذا الضبط تتضح حدود الدراسة وموضوعها

مشكلة البحث

تتحدد مشكلة البحث ما البنية الفكرية والمنهجية لمشروع التراث والتجديد عند حسن حنفي، وما موقفه من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، وإلى أي مدى نجح هذا المشروع في تحقيق التجديد المنشود؟ وتتفرع عن هذا السؤال جملة من الأسئلة الفرعية

1. ما مفهوم التراث والتجديد عند حنفي؟ وما جذوره الفلسفية؟
2. وما آليات التجديد التي اقترحها؟
3. ما أبرز الانتقادات الموجهة إليه؟

أهداف البحث

1. التعرف على مفهوم التراث والتجديد عند حسن حنفي وبيان جذوره الفلسفية .
2. الكشف عن آليات التجديد التي اقترحها حسن حنفي في مشروعه الفكري .
3. رصد وتحليل أبرز الانتقادات الموجهة إلى مشروع التراث والتجديد عند حسن حنفي .
4. تقييم مدى قدرة مشروع التراث والتجديد على تحقيق التجديد المنشود في الفكر الإسلامي المعاصر .

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في أنه يتناول مشروعا ما زال يثير سجالات واسعة في الأوساط الفكرية بعد رحيل صاحبه، ويقدم مادة تحليلية منظمة تفيد الباحثين في حقول الفلسفة والفكر الإسلامي وأصول الدين، فضلا عن إسهامه في ترشيد النقاش الدائر حول التجديد الديني بعيدا عن الانفعال والتحيز المسبق

منهج البحث

اعتمد البحث المنهج التحليلي في تفكيك خطاب حنفي واستخراج بنيته المفاهيمية، والمنهج النقدي في تقييم مقولاته وكشف مسلماته وتوتراته الداخلية، مع توظيف المنهج المقارن عند الحاجة للموازنة بين مشروعه ومشاريع معاصريه من قراء التراث، وذلك التزاما بمبدأ قراءة المشروع من داخله أولا قبل الحكم عليه من خارجه

الدراسات السابقة

- 1- دراسة أحمد محمد سالم (2010)، بعنوان: إشكالية التراث في الفكر العربي المعاصر: دراسة نقدية مقارنة بين حسن حنفي وعابد الجابري

هدفت إلى تحليل إشكالية التراث في الفكر العربي المعاصر من خلال دراسة مشروع التراث والتجديد عند حسن حنفي ونقد العقل العربي عند محمد عابد الجابري، والكشف عن طبيعة العلاقة بين التراث والحداثة ومدى إمكانية توظيف التراث في تحقيق النهضة. واعتمدت المنهج التحليلي النقدي المقارن، من خلال تحليل المرتكزات الفكرية والمنهجية للمشروعين ومقارنة طرائق تعاملهما مع التراث والمناهج الغربية الحديثة. وخلصت إلى أن كلا المشروعين قدم محاولة جادة لإعادة قراءة التراث، إلا أن كليهما ظل متأثرا بالهاجس الأيديولوجي، مع اختلاف الأدوات والمناهج التي اعتمدها كل مشروع. كما ناقشت الدراسة حدود الاستفادة من المناهج الغربية في قراءة التراث، وما إذا كانت هذه المناهج تمثل أداة للبناء أم للهدم. وأوصت، في اتجاهها العام، بضرورة استمرار النقد المنهجي لقراءات التراث وتجاوز المواقف الأيديولوجية المسبقة عند التعامل معه، بما يسمح بإعادة بناء العلاقة بين التراث ومتطلبات الواقع المعاصر .

- 2- دراسة علي عبد الفتاح محمد عبده (2021)، بعنوان: التراث والتجديد عند حسن حنفي: بنية وتقويما وتأسيسا

هدفت إلى الكشف عن البنية الفكرية والمنهجية لمشروع التراث والتجديد عند حسن حنفي، وتحليل مرتكزاته وتتبع تطوره وتقويم الأسس التي قام عليها المشروع. واعتمدت على مقارنة تحليلية نقدية للمشروع من داخله، من خلال تتبع مفاهيم التراث والتجديد ومناهج حنفي في إعادة بناء العلوم الإسلامية وموقفه من الواقع والحداثة. وخلصت إلى أن مشروع حنفي يمثل رؤية فكرية شاملة تتجاوز التعامل الجزئي مع قضايا التراث، وأنه سعى إلى إعادة توظيف التراث في خدمة قضايا الإنسان والواقع المعاصر، مع بروز عدد من الإشكالات المرتبطة بالمنهج والمصطلح والعلاقة بين الجانب المعرفي والجانب الأيديولوجي. كما أبرزت الطموح الكبير للمشروع واتساع مجالاته وتعدد مستوياته الفكرية والمنهجية. وأكدت أهمية

إخضاع المشروع للنقد والتقييم المستمر، وعدم الاكتفاء بقرائته من منظور التأييد أو الرفض، بما يتيح الإفادة من جوانبه الإيجابية والكشف عن مواطن القصور فيه.

3- دراسة عبد العزيز محمد الجابر (2022)، بعنوان: الإجماع ومازق تجديده عند حسن حنفي

هدفت إلى بحث موقف حسن حنفي من مفهوم الإجماع ومحاولته إعادة بنائه ضمن مشروعه العام لتجديد أصول الفقه، والكشف عن الإشكالات التي تثيرها هذه المحاولة على المستوى المفاهيمي والمنهجي. واعتمدت على التحليل النقدي لمقولات حنفي المتعلقة بالإجماع وتجديد أصول الفقه، مع فحص المصطلحات والأسس التي استند إليها في إعادة بناء المفهوم. وخلصت إلى وجود عدد من المآزق المصطلحية والمنهجية في محاولة حنفي لتجديد مفهوم الإجماع، مع التأكيد على أن مشروعه يمثل محاولة جادة لإعادة التفكير في بعض المفاهيم الأصولية الموروثة وربطها بمتطلبات الواقع. كما كشفت عن الحاجة إلى مزيد من الضبط المفاهيمي والمنهجي عند نقل المفاهيم الأصولية من سياقها التراثي إلى سياق معاصر. ويمكن استثمار نتائجها في الدعوة إلى مزيد من الدراسة النقدية الجزئية لمقولات حنفي الأصولية، بدل الاكتفاء بالتقويم العام لمشروعه، وهو ما يفتح مجالاً أمام دراسات أوسع تتناول المشروع في كليته وعلاقته بقضايا الفكر الإسلامي المعاصر.

يتضح من استعراض الدراسات السابقة أن بينها وبين البحث الحالي قدراً من التشابه يتمثل في الاهتمام بمشروع حسن حنفي ومحاولة الكشف عن أسسه الفكرية والمنهجية وموقفه من قضية التراث والتجديد، كما تشترك في الاعتماد بدرجات مختلفة على المنهج التحليلي والنقدي في قراءة أفكار حنفي وتقييمها. غير أن الاختلاف بينها وبين البحث الحالي يظهر في نطاق المعالجة وزاوية النظر، فقد ركزت دراسة أحمد محمد سالم على المقارنة بين حسن حنفي ومحمد عابد الجابري، وانشغلت بإشكالية التراث في الفكر العربي المعاصر بصورة مقارنة، في حين ركزت دراسة عبده على البنية الداخلية لمشروع التراث والتجديد وتقييمه وتأسيسه، بينما انصرفت دراسة الجابر إلى قضية جزئية محددة هي الإجماع ومازق تجديده عند حنفي. أما البحث الحالي فتتجه إلى الجمع بين تحليل مشروع التراث والتجديد في بنيته الفكرية والمنهجية، وبين دراسة موقف حسن حنفي من مجموعة من القضايا المركزية في الفكر الإسلامي المعاصر، مثل تجديد الخطاب الديني، والأصالة والمعاصرة، والحدثة، والديمقراطية، وحقوق الإنسان والحرية، ثم إخضاع المشروع ككل لتقويم نقدي يوازن بين إسهاماته وحدوده.

وتتمثل الفجوة البحثية التي يسعى البحث الحالي إلى معالجتها في أن الدراسات السابقة، على الرغم من أهميتها، لم تجمع — في إطار تحليلي نقدي واحد — بين دراسة البنية الفكرية والمنهجية لمشروع التراث والتجديد وبين تحليل موقف حنفي من القضايا المعاصرة التي يتصل بها مشروعه مباشرة، كما لم تجعل مسألة نجاح المشروع في الانتقال من المستوى النظري إلى مستوى التأثير في الواقع محورا تقويمياً جامعاً. ومن ثم يحاول البحث الحالي سد هذه الفجوة من خلال قراءة المشروع بوصفه بناء كلياً مترابطاً، يبدأ من مفهوم التراث والتجديد والجذور الفلسفية والمنهجية، ويمر بآليات إعادة بناء علوم التراث، وينتهي بموقف حنفي من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، مع اختبار مدى اتساق هذه المقولات وإمكان تنزيلها في الواقع. ويتميز كذلك بأنه لا يكتفي بعرض أفكار حنفي أو نقل الانتقادات الموجهة إليه، وإنما يسعى إلى تقديم تقويم نقدي متوازن يحدد الإسهامات الفكرية للمشروع من جهة، ومازقه المنهجية والأيدولوجية وضعف أثره التطبيقي من جهة أخرى، وهو ما ينسجم مع الهدف المعلن للدراسة في تجاوز موقف التمجيد المطلق والرفض المطلق للمشروع.

المبحث الأول: الإطار النظري لمشروع التراث والتجديد

المطلب الأول: مفهوم التراث والتجديد في الفكر الإسلامي

يحمل مصطلح التراث في الاستعمال العام معاني متعددة، فقد يطلق على كل ما هو ماضٍ في شتى فروع العلم والفكر والفن والدين، وقد يخص به جانب بعينه كتراث الفلسفة الإسلامية، وقد يتضمن حكم قيمةً سلبياً أو إيجابياً في مقابل الجديد أو المعاصر، غير أنه عند حنفي يكتسب معنى خاصاً هو الماضي المستمر في الحاضر، وهي رؤية ظاهراتية تجعل التراث حاضراً فاعلاً في وعي الإنسان المعاصر لا مجرد وقائع منقضية (عبده، 2021، ص 790).

وينبغي على هذا التحديد أن التجديد لا يعني عند حنفي القطيعة مع الماضي ولا الاجترار له، وإنما إعادة بنائه من الداخل بما يستجيب لحاجات العصر، فالتراث مكون رئيس في العقلية المعاصرة، وتحليله هو في جوهره تحليل لهذه العقلية وإظهار لعناصرها وأسباب ضعفها، بما يسمح برؤية الحاضر داخل الماضي ورؤية الماضي داخل الحاضر (حنفي، 1992، ص 19).

وبهذا يتمايز موقف حنفي عن الموقفين المتقابلين في الساحة الفكرية: موقف السلفية الذي يرى في التراث نموذجاً معيارياً يستعاد، وموقف الحداثة التغريبية الذي يرى فيه عبئاً يتجاوز، فحنفي يقترح موقفاً ثالثاً يجعل من التراث مادة خاماً قابلة لإعادة الصياغة وفق حاجات النهضة، لا سلطة مقدسة ولا ركناً مهماً (سالم، 2013، ص 52).

ويندرج مشروع حنفي ضمن الخصائص العامة للفكر العربي المعاصر، فهو أولاً مشروع للتأثير في الواقع لا لاكتشاف حقيقة في الوجود أو المعرفة، وهو ثانياً متأثر سلباً أو إيجاباً بالفلسفة الغربية بوصفه رد فعل على المركزية الغربية، وهو ثالثاً متفاعل مع التراث المحلي المستمر في الواقع، وهذه الخصائص الثلاث تفسر كثيراً من توترات المشروع وطموحه معاً (عبده، 2021، ص 792).

ولعل أوضح ما يميز تحديد حنفي للتراث اقترابه من المفهوم الظاهراتي للزمن عند هيدجر، فالتراث بوصفه الماضي المستمر في الحاضر يوازي فكرة أن الفهم لا يحدث في فراغ بل من داخل أفقٍ تاريخيٍّ سابق، غير أن حنفي حول هذه الرؤية الوجودية إلى أداة نهضوية عملية، فنقلها من مقام التأمل الأنطولوجي إلى مقام الفعل الاجتماعي، وهو تحويل يكشف أصالته وحدوده معاً (كتابات فكرية، 2024، ص 2).

المطلب الثاني: الجذور الفكرية والفلسفية لمشروع حنفي

تشكلت ملامح مشروع حنفي في تربة فكرية مركبة، فقد بدأ قريباً من الحركة الإسلامية في شبابه، ثم درس الفلسفة في جامعة القاهرة وتخرج فيها عام 1956م، وسافر إلى فرنسا حيث نال دكتوراه الدولة من جامعة السوربون عام 1966م، فتشرب هناك المناهج الفلسفية الأوروبية الحديثة وفي مقدمتها الظاهراتية (الفينومينولوجيا) والتأويلية (الهرمنيوطيقا) (عبده، 2021، ص 785).

وقد ترك المنهج الظاهراتي أثراً عميقاً في تصور حنفي للتراث والوعي، إذ نقل مفهوم القصديّة والماضي المستمر إلى ميدان قراءة الموروث، فاقترّب في ذلك من هيدجر وغادامير في تأكيد حضور التراث بوصفه أفقاً وجودياً للفهم، وإن اختلف عنهما في منطلقه، فبينما ينطلق الفيلسوفان الألمانيان من أزمة الميتافيزيقا الغربية، ينطلق حنفي من أزمة التبعية الحضارية والاستعمار (كتابات فكرية، 2024، ص 3).

وقد تجلّى هذا التأثير الظاهراتي مبكراً في أعماله المترجمة والتأسيسية، إذ اشتغل حنفي على تطبيق المنهج الظاهراتي في الظاهرة الدينية، ونقل أدواته إلى ميدان التراث، فجمع بين التحليل الفينومينولوجي للوعي والبعد الاجتماعي التاريخي المستمد من الماركسية، وبهذا المزج المنهجي قرأ النصوص الدينية والفلسفية بوصفها تعبيراً عن الوجود الإنساني في ظروفه التاريخية (كتابات فكرية، 2024، ص 3).

ولم يقتصر المصدر على الفلسفة الغربية، بل استحضرت حنفي التراث الإصلاحي العربي الإسلامي، معتبرا مشروعه امتدادا لمشروع جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، فقد صرح بأن كتابات اليسار الإسلامي استمرار لمجلة العروة الوثقى ولجريدة المنار في مقاومة الاستعمار والتخلف والدعوة إلى الحرية والعدالة الاجتماعية وتوحيد المسلمين (حنفي، 1996، ص 21).

ويكشف هذا المزيج المركب عن هوية فكرية متعددة المصادر جعلت من العسير تصنيف حنفي في خانة واحدة، فهو يجمع بين نزوع سلفي إصلاحي وقومي وماركسي في آن واحد، وهو ما عبر عنه بقوله إنه عند السلفيين ماركسي، وعند الماركسيين سلفي، وهذه التعددية سلاح ذو حدين: مصدر ثراء ومصدر التباس معا (الجزيرة، 2022، ص 2).

المطلب الثالث: المرتكزات الفكرية والمنهجية للمشروع

يقوم مشروع التراث والتجديد على ثلاثة محاور كبرى تمثل جبهات المعركة الفكرية عند حنفي، وهي: الموقف من التراث القديم، والموقف من التراث الغربي، ونظرية التفسير أو التأويل، وهذه المحاور الثلاثة تختصر منهجيا في ثلاثة أنواع من الوعي متكاملة (حنفي، 1980، ص 12).

أ. الوعي بالتراث، ويعني إعادة قراءة الموروث القديم قراءة نقدية تكشف مثالبه ومكامن العجز فيه — كغياب مفهوم الإنسان والحرية والتاريخ لصالح ثقافة انتكالية أحيانا — ثم إعادة توجيهه نحو قضايا التحرر والعدالة، فالتراث لا يقرأ لذاته بل لأجل حاجات الواقع (حنفي، 1980، ص 22).

ب. الوعي بالواقع، وهو المنطلق والغاية معا، إذ يرى حنفي أن العلوم القديمة إنما نشأت استجابة لواقعها، ومن ثم فإن تجديدها رهن بإعادة ربطها بواقعنا نحن، بحيث يتحول مركز الثقل من النص إلى الواقع ومن الحرف إلى المصلحة، وهذا التحول هو جوهر مشروعه في إعادة بناء العلوم (حنفي، 2023، ص 594).

ج. الوعي بالآخر، ويتجسد في علم الاستغراب الذي أراد به حنفي أن يكون ندا للاستشراق، فبعد أن حدد موقفه من التراث القديم، انتقل إلى الجبهة الثانية وهي الموقف من التراث الغربي، ساعيا إلى تفكيك الوعي الأوروبي ومصادره وحدوده حتى لا يظل نموذجا مهيمنا يقاس عليه (حنفي، 1991، ص 15).

وقد بنى حنفي علم الاستغراب على ثلاثية منهجية مرتبة: أولها الوقوف على مصادر الوعي الأوروبي المعلنة والخفية، وثانيها تتبع بداية تكوينه في عصري الإصلاح الديني والنهضة وصولا إلى التنوير والثورة، وثالثها رصد نهايته ونقده لذاته وتحول مساره من الأنا أفكر إلى الأنا موجود، وبهذه الثلاثية أراد أن يعيد الغرب إلى حدوده التاريخية بوصفه ظاهرة قابلة للدرس لا مرجعا مطلقا (حنفي، 1991، ص 30).

وبتكامل هذه الأنواع الثلاثة من الوعي تكتمل خطاطة المشروع، فالوعي بالتراث يحرر من سلطة الماضي، والوعي بالواقع يحدد الغاية والوجهة، والوعي بالآخر يحرر من سلطة النموذج الغربي، وهي بنية ثلاثية متماسكة تجعل المشروع مغلقا على ذاته من حيث التصميم، مفتوحا على الواقع من حيث الغاية (سالم، 2013، ص 70).

المبحث الثاني: تحليل مشروع التراث والتجديد عند حسن حنفي

المطلب الأول: منهج حنفي في قراءة التراث الإسلامي

ينهض منهج حنفي في قراءة التراث على مبدأ الفصل بين التراث والدين، فهو يرى أن الدين، وإن كان جزءا من التراث، لا يحول التراث كله إلى تراث ديني مقدس، وإنما التراث في جوهره مجموعة تفسيرات أنتجها الأسلاف تجاه واقعهم وعالمهم الاجتماعي، ولذلك تنوعت مواقفهم بين الجبر والاختيار وبين الأشعرية والاعتزال، وستظل هذه التفسيرات متجددة في المستقبل بأشكال جديدة (حنفي، 1980، ص 21).

ويترتب على هذا المبدأ نتيجة منهجية خطيرة، وهي نزع صفة القداسة عن الإنتاج البشري في التراث، وإخضاعه للتحليل التاريخي والاجتماعي، فالعقائد والمذاهب ليست حقائق مطلقة بل تعبيرات أيديولوجية عن مصالح فئات وصراعات عصور، وهو ما يمنح الباحث حرية في إعادة تأويلها وتوظيفها (سالم، 2013، ص 60).

ويستعين حنفي في هذه القراءة بالمنهج الظاهراتي الشعوري الذي يحاول تطبيقه على الجبهات الثلاث، فهو يصف الحاضر وكأنه ماضٍ يتحرك، ويصف الماضي على أنه حاضر ممتد، مؤسسا بذلك علما جديدا يقوم على تحليل العقلية المعاصرة من خلال تحليل التراث الذي يسكنها (حنفي، 1992، ص 19).

ومن أبرز أدوات هذه القراءة تقسيم التراث إلى تراث حكام وتراث محكومين، وتمييز أيديولوجيا المعارضة من أيديولوجيا الدولة، فحنفي يعيد قراءة الصراعات المذهبية والكلامية بوصفها انعكاسا لصراعات اجتماعية وسياسية حقيقية، لا مجرد خلافات نظرية مجردة، مما يمنح قراءته بعدا نقديا اجتماعيا واضحا (سالم، 2013، ص 150).

المطلب الثاني: موقفه من العقل والنقل

يعلي حنفي من شأن العقل والواقع في مواجهة سلطة النص الحرفي وسلطة الموروث، فهو يرى أنه لا سلطان إلا للعقل، ولا سلطان إلا لضرورة الواقع الذي نعيش فيه، داعيا إلى تحرير الوجدان المعاصر من الخوف والرهبنة والطاعة العمياء للسلطة، وبذلك يجعل العقل والمصلحة معيارين حاكمين في فهم النصوص وتوجيهها (مؤمنون بلا حدود، 2023، ص 4).

غير أن إعلاء العقل عند حنفي لا يعني إلغاء النقل، بل إعادة ترتيب العلاقة بينهما بحيث ينتقل مركز الثقل من النص إلى الواقع، فالنص يبقى منطلقا، لكن غايته تحقيق مصالح الناس، استثنافا لمنهج الشاطبي في المقاصد والطوفي في تقديم المصلحة، وهو ما يعده حنفي مرحلة جديدة في تطور علم الأصول (حنفي، 2023، ص 593).

ويستند حنفي في هذا التحول إلى امتداد داخل التراث نفسه، فهو يستأنف خط الشاطبي في الموافقات بتقديمه المقاصد على الظاهر، وخط الطوفي في تقديمه المصلحة عند التعارض، معتبرا أن مشروعه ليس بدعة خارجة عن التراث بل تطوير لأفضل ما فيه، وبذلك يسعى إلى شرعنة تجديده من داخل المنظومة الأصولية ذاتها لا من خارجها (حنفي، 2023، ص 593).

وهذا الموقف يضع حنفي في مسافة نقدية من التيار السلفي الحرفي ومن التيار العقلاني التغريبي معا، فهو ليس مع من يجمد النص عند حرفيته، ولا مع من يقطع مع مرجعية النص كليا، وإنما يبحث عن عقلانية من داخل التراث توجه النص نحو خدمة الإنسان (الجابر، 2022، ص 105).

المطلب الثالث: آليات التجديد في مشروعه

- لم يكتفِ حنفي بالتظهير، بل اقترح آليات إجرائية لتجديد علوم التراث كلها، وذلك على النحو الآتي:
- أ. إعادة بناء علم أصول الدين، وهو ما تجسد في موسوعته من العقيدة إلى الثورة بأجزائها الخمسة التي تمثل ثورة على المنهج التقليدي في هذا العلم، إذ ينقده ويدعو إلى تبني مواقف جديدة تلأثم العصر، ناقلا العقيدة من مقام التأمل النظري إلى مقام الفعل والثورة (حنفي، 2017، ج1، ص 33).
 - ب. إعادة قراءة الفقه وأصوله، إذ سعى حنفي في من النص إلى الواقع إلى إعادة تأسيس علم أصول الفقه على أصول عقلية تتفق مع حاجات الناس ومشكلاتهم اليومية، لا على المسائل الجزئية المتوارثة، فالمقصود عنده تحويل في العلم كله من الحرف إلى المصلحة، لا مجرد ترجيح بين أقوال فرعية (حنفي، 2023، ص 594).
 - ج. تجديد علم الكلام، فقد رأى حنفي أن مسائل الكلام القديمة — كالتوحيد والعدل والنبوة والإمامة — يجب أن تقرأ قراءة عملية تربطها بقضايا الحرية والعدالة والحكم، فالإيمان عنده أيديولوجية محرّكة لكل عمل، لا مجرد تقبل عاطفي لمعتقد، ولا إيمان بلا عمل ولا عمل بلا إيمان (حنفي، 2017، ج5، ص 15).
 - د. التأويل بوصفه أداة منهجية مركزية، فحنفي يوظف نظرية التفسير الظاهرية لإعادة إنتاج دلالات النصوص بما يخدم حاضر الأمة، جاعلا من التأويل جسرا بين النص الثابت والواقع المتحول (عبد، 2021، ص 800).
- ويقترّب هذا التأويل من الهرمنيوطيقا الفلسفية في تأكيدها أن الفهم عملية متجددة لا تكتمل أبداً، إذ يفكك الفهم القديم ويعاد بناؤه في ضوء أفق الحاضر، غير أن حنفي يشحن هذه العملية بمضمون تحرري صريح، فالتأويل عنده ليس ترفاً معرفياً بل التزام بمواجهة الاستعمار الجديد والرأسمالية وتحقيق العدالة، وهو ما يميزه عن الطابع الوجودي المحض عند غادامير (كتابات فكرية، 2024، ص 4).
- هـ. توظيف المناهج الحديثة من ظاهراتية وماركسية وتأويلية في قراءة النصوص الدينية والفلسفية بوصفها تعبيراً عن الوجود الإنساني في ظروفه التاريخية، إعادة الاعتبار للتراث عنده تعني إعادة التوازن بينه وبين الحداثة عبر استخراج المبادئ الكونية — كالعدل والحرية والمساواة — وتجسيدها في مشروع تحرري (كتابات فكرية، 2024، ص 5).
- وتتوزع هذه الآليات على بنية موسوعية ضخمة تمثل الجناح التطبيقي للمشروع، فالإيمان من العقيدة إلى الثورة في أصول الدين، ومن النص إلى الواقع في أصول الفقه، هناك من النقل إلى الإبداع في التراث الفلسفي، ومقدمة في علم الاستغراب في الموقف من الغرب، وهي أعمال متكاملة تجسد طموح حنفي إلى إعادة بناء العلوم كلها لا علم بعينه (عبد، 2021، ص 805).

المبحث الثالث: موقف حسن حنفي من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر

المطلب الأول: قضية تجديد الخطاب الديني

يمثل تجديد الخطاب الديني عند حنفي جوهر المشروع لا فرعاً من فروعه، فهو يرى أن أزمة الخطاب الديني السائد تكمن في انفصاله عن الواقع وتحويله إلى خطابٍ للطاعة والتخويف بدل أن يكون خطاباً للتحرير والفعل، ومن ثم فإن التجديد المنشود هو نقل الدين من وظيفة تبريرية للسلطة إلى وظيفة تحريرية للإنسان (مؤمنون بلا حدود، 2023، ص 6).

ويقوم هذا التجديد على إعادة توجيه المفاهيم الدينية الكبرى نحو قضايا العصر، فمفاهيم مثل التوحيد والعدل والإمامة تقرأ بوصفها مبادئ ناظمة للحرية ومقاومة الاستبداد وبناء مجتمع العدالة، لا مجرد مباحث نظرية في الاعتقاد، وبذلك يصبح الخطاب الديني قوة دافعة نحو التغيير الاجتماعي (حنفي، 2017، ص 40).

وفي هذا الإطار وجه حنفي نقداً حاداً إلى ما سماه السلفية النمطية التي رأى أنها شوهت صورة الإسلام وساهمت في تغليب ثقافة الموت على ثقافة الحياة، فهدف تجديد الخطاب عنده هو استعادة البعد الحيوي التحرري للدين، وتخليصه من التأويلات التي حولته إلى أداةٍ للانكفاء والسكون بدل أن يكون طاقة للنهضة (الجزيرة، 2022، ص 3).

المطلب الثاني: قضية العلاقة بين الأصالة والمعاصرة

يرفض حنفي الوقوع في ثنائية الأصالة والمعاصرة بوصفهما نقيضين متنافيين، فالأصالة عنده ليست جموداً على الماضي، والمعاصرة ليست ذوباناً في الحاضر الغربي، وإنما التكامل بينهما ممكن من خلال جعل التراث منطلقاً والواقع غاية، فالمعاصرة الحقبة هي قدرة التراث على التفاعل الخلاق مع متغيرات العصر (سالم، 2013، ص 210).
ولذلك يصف حنفي الحضارة الإسلامية بأنها ليست حدثاً انتهى، بل حدث إبداعي ينشأ في كل مرة يتفاعل فيها الإنسان مع المتغيرات السياسية والحضارية، فالأصالة والمعاصرة عنده ليستا لحظتين متعاقبتين بل حركة واحدة متصلة (حنفي، 2017، ج2، ص 12).

وبهذا التصور يتجاوز حنفي المأزق الذي وقع فيه كثير من مفكري النهضة حين جعلوا الأصالة والمعاصرة قطبين متنافيين يفرض أحدهما إقصاء الآخر، فهو يرى أن استئثار الفعل الحضاري لا يتم بالانكفاء على الذات ولا بالذوبان في الآخر، بل بجعل الذات فاعلة تستوعب منجز العصر وتعيد صوغه بلغتها الخاصة، وهو ما يجعل مشروعه محاولة لتأسيس معاصرة أصيلة لا معاصرة مستعارة (سالم، 2013، ص 215).

المطلب الثالث: موقفه من القضايا الفكرية الكبرى

أما موقفه من الحداثة، فهو موقف نقدي لا رافض ولا تابع، إذ يرى حنفي أن الأخذ بمنجزات الحداثة العقلانية ممكن من دون التبعية لمركزيتها الغربية، ولهذا أسس علم الاستغراب ليحول الغرب من ذاتٍ عارفةٍ مهيمنةٍ إلى موضوعٍ للدرس والنقد، فينكسر بذلك الاستلاب الحضاري (حنفي، 1991، ص 20).

أما الديمقراطية والدولة المدنية، فيقاربهما حنفي من زاوية العدل والشورى ومقاومة الاستبداد، فهو يوظف مقولاته الكلامية — كالعدل والإمامة — لتأسيس مشروعية السلطة على رضا المحكومين، رافضاً احتكار السلطة الدينية والسياسية في فئةٍ أو شخص، ومؤكداً أن مباحث الحكم ليست فرعية بل صميمية في أصول الدين (حنفي، 2017، ج5، ص 20).
وأما الحرية وحقوق الإنسان، فتحتلان موقعا محوريا في مشروعه، فقد حمل حنفي التراث القديم مسؤولية غياب مفهوم الإنسان والحرية أحيانا، ودعا إلى قراءةٍ للتراث تتطلق من قضايا تحرير الأرض من الاستعمار والحرية والعدالة الاجتماعية والهوية والتنمية، فهذه القضايا هي التي ينبغي أن توجه قراءتنا للموروث (حنفي، 1980، ص 30).

ويربط حنفي هذه القضايا كلها بمنظومةٍ من الأولويات النهضوية التي ينبغي أن توجه قراءة التراث، وهي في تقديره: تحرير الأرض من الاستعمار، والحرية في مواجهة القهر، والعدالة الاجتماعية، ومقاومة تجزئة العالم الإسلامي، والتنمية، والهوية، فهذه هي الأجندة التي يقرأ الموروث في ضوءها، بحيث لا يكون التراث غاية في ذاته بل وسيلة لخدمة هذه القضايا (حنفي، 1980، ص 31).

أما موقفه من المرأة والعلاقة مع الغرب، فيندرج ضمن رؤيته التحررية العامة، فهو يربط قضية المرأة بقضية التحرر الاجتماعي الشامل، ويرى أن العلاقة مع الغرب ينبغي أن تنتقل من موقع التلقي والانبهار إلى موقع الندية والنقد عبر علم الاستغراب، بحيث نستوعب منجزه من دون أن ندوب فيه (حنفي، 1991، ص 25).

المبحث الرابع: دراسة نقدية لمشروع التراث والتجديد

المطلب الأول: الإسهامات الفكرية للمشروع

لا يمكن إنكار الإسهامات الكبرى لمشروع حنفي، فهو من أوائل من قدم رؤية منهجية شاملة للتعامل مع التراث تتجاوز ردود الأفعال الانفعالية، وأعاد للتراث حيويته بوصفه ماضيا مستمرا يمكن استثماره في النهضة، وربط قضية التجديد الديني بقضايا الواقع الاجتماعي والسياسي بدل حصرها في المسائل النظرية (عبد، 2021، ص 815). كما أن مشروع علم الاستغراب يعد إسهاما نوعيا في تحرير الوعي العربي من عقدة المركزية الغربية، إذ نقل الغرب من موقع المرجع المطلق إلى موقع الموضوع القابل للنقد، وهو ما يمثل خطوة معرفية جريئة في مسار الاستقلال الحضاري (حنفي، 1991، ص 18).

ويحسب للمشروع أيضا شموله وامتداده، فقد شمل أصول الدين والفقه والكلام والفلسفة والموقف من الغرب في بناء واحد مترابط، وهو طموح نادر في الفكر العربي المعاصر، جعل من حنفي أحد أبرز منظري التجديد في العالم الإسلامي الحديث (سالم، 2013، ص 230).

ومن إسهاماته المنهجية أيضا جرأته في مد التجديد إلى مناطق ظلت محرمة على النقد، فقد تجاوز حدود المسائل الفرعية إلى إعادة النظر في بنية العلوم ذاتها ومناهجها، وأدخل أدوات علوم الإنسان الحديثة إلى قلب الدرس الديني، فوسع بذلك أفق الأسئلة الممكنة وحرض على التفكير خارج المألوف (الجابر، 2022، ص 108).

المطلب الثاني: أبرز الانتقادات الموجهة إليه

وجهت إلى مشروع حنفي انتقادات عديدة من زوايا مختلفة، فأبرزها نقد أدلجة التراث، أي تحويل التراث إلى أداة أيديولوجية مسبقة الغاية، بحيث يقرأ الموروث لا لاكتشاف حقيقته بل لإسقاط مقولات حاضرة عليه، فتغدو النتائج معروفة سلفا وتنفذ القراءة حيادها المعرفي (سالم، 2013، ص 240).

ومن النقد المنهجي ما أثاره باحثون حول اضطراب المصطلح عند حنفي، إذ رأوا أن المصطلحات لا تنشأ من المعاني العامة للكلمات بل من المفاهيم المتفق عليها بين المتخصصين، بينما نحت حنفي مصطلحات خاصة أضفت على خطابه غموضا وصعبت التواصل العلمي مع مشروعه (الجابر، 2022، ص 113).

وفي إطار المقارنة المنهجية، يلاحظ أن مشروع حنفي — شأنه شأن مشروع الجابري في نقد العقل العربي ومشروع أركون في نقد العقل الإسلامي — ظل محكوما بهاجس النهضة والأيديولوجيا أكثر من انضباطه بالمعرفة الخالصة، غير أن حنفي تميز باقترابه من العقل اللاهوتي الذي ابتعد عنه الجابري، فوسع دائرة التجديد لتشمل النص المقدس وعلومه (سالم، 2013، ص 255).

ورغم هذه المآخذ، فقد ترك المشروع أثرا واضحا في جيل من الباحثين والتلامذة الذين واصلوا مساءلة التراث من داخل الأفق الذي فتحه حنفي، فقد مثل — إلى جانب مفكرين كأركون والجابري والعروي — منعطفًا في تحويل سؤال النهضة إلى سؤال منهجي عن كيفية إعادة بناء الموروث الثقافي، وهو أثر يتجاوز نجاح المشروع أو إخفاقه في تفاصيله (الجزيرة، 2022، ص 2).

كما وجه إليه نقد من داخل التيار الإسلامي رأى في اليسار الإسلامي قناعا يخفي مواقف أخرى، ومن التيار العلماني الذي رصد تناقضات في خطابه بين النزوع السلفي والقومي والماركسي معا، وهو ما جعله عند السلفيين ماركسيا، وعند الماركسيين سلفيا كما وصف نفسه (الجزيرة، 2022، ص 2).

ومن أشهر السجلات النقدية التي خاضها حنفي معاركه على صفحات مجلة الفكر المعاصر مع الفيلسوف فؤاد زكريا، الذي لم يتردد في إبراز ما رآه تناقضات في فكر حنفي وكتابات، وكان رد حنفي يستند إلى حرصه على الانتماء إلى تراث يصعب التفكير في التقدم العربي من دون الاستعانة به، وهو سجل يكشف عمق التوتر بين المطلب المعرفي والمطلب النهضوي في مشروعه (الجزيرة، 2022، ص 1).

وعلى صعيد المقارنة المنهجية بين مشاريع قراءة التراث، يظهر أن حنفي اقترب من هيدجر في نظريته إلى التراث بوصفه أفقا وجوديا مستمرا، بينما مال الجابري إلى النقد الأبستمولوجي البنوي الذي يضع مسافة أكبر بينه وبين موضوعه، ووظف أركون مناهج الألسنية والسيميائية والأنثروبولوجيا في مقارنة النص المقدس، وبهذا كان حنفي أكثرهم اقترابا من العقل اللاهوتي وأشداهم انحرافا في هم التغيير الاجتماعي (كتابات فكرية، 2024، ص 4).

المطلب الثالث: رؤية الباحث وتقويم المشروع

بالنظر إلى المشروع في كليته، يمكن القول إنه نجح في تحقيق التجديد على المستوى النظري والمنهجي، فقد قدم رؤية متكاملة وأدوات إجرائية وأعاد طرح أسئلة التراث بجرأة، لكنه أخفق نسبيا على مستوى التنزيل والأثر الواقعي، وهو ما اعترف به حنفي ذاته حين أقر بأن من العقيدة إلى الثورة لم يحدث الأثر المطلوب ولم يقع تحول في عقائد الناس ولا هزة في أروقة المتخصصين (عبده، 2021، ص 818).

ويبدو أن الجانب الأوج إلى التطوير في المشروع هو ضبط العلاقة بين المعرفي والأيدولوجي، فقد غلب الهاجس النهضوي أحيانا على الصرامة المنهجية، كما أن توظيف المناهج الغربية على النص الإسلامي يحتاج إلى مزيد من التمحيص لتجنب الإسقاط، غير أن حنفي نفسه جعل النقد الذاتي سنة متبعة في مشروعه من أجل تطويره من الداخل (الجابري، 2022، ص 110).

ويحسب لحنفي أنه لم يكن غافلا عن هذه المآخذ، بل جعل النقد الذاتي سنة متبعة في مشروعه من أجل تطويره من الداخل في عملية خلق مستمرة، فقد أقر صراحة بعدم التوازن بين مطلوبات التراث ومطلوبات التجديد، واعترف بأن مشروعه أقرب إلى العقيدة منه إلى الثورة، وهو ما جعل بعض معاصريه يصنفونه ضمن مدار العقيدة أكثر من مدار الفعل (عبده، 2021، ص 817).

أما إمكانية الإفادة من المشروع في الواقع الإسلامي المعاصر، فتبقى قائمة ومهمة، فروح المشروع — أي ربط الدين بالتحريير والعدالة، وقراءة التراث في خدمة الإنسان، ومواجهة المركزية الغربية بالنندية لا بالقطيعة — تمثل رصيذا يمكن استثماره في تجديد عقلائي متوازن يتجنب مآزق المشروع الأصلي ويحفظ مكاسبه المنهجية (سالم، 2013، ص 265).

الخاتمة

تناول هذا البحث مشروع التراث والتجديد عند حسن حنفي تحليلا ونقدا، فتبين أنه مشروع فكري شامل يقوم على ثلاثة أنواع من الوعي — الوعي بالتراث والوعي بالواقع والوعي بالآخر — ويهدف إلى تحويل التراث من نص مغلق إلى أداة عملية للنهضة، معتمدا المنهج الظاهراتي والتأويلي في إعادة بناء علوم التراث كلها. وقد خلص البحث إلى جملة من النتائج والتوصيات.

النتائج

1. إن مفهوم التراث عند حنفي هو الماضي المستمر في الحاضر، والتجديد عنده إعادة بناء من الداخل لا قطيعة ولا اجترار.
2. إن منهجه يقوم على الفصل بين الدين والتراث ونقل مركز الثقل من النص إلى الواقع ومن الحرف إلى المصلحة.
3. إن المشروع أعاد بناء أصول الدين والفقه والكلام وأسس لعلم الاستغراب، فمثل رؤية تحررية تربط الدين بالعدالة والحرية.
4. إن أبرز مآزق المشروع هو غلبة البعد الأيديولوجي على المعرفي، واضطراب المصطلح، وضعف الأثر الواقعي مقارنة بطموحه النظري.
5. إن المشروع — رغم مآزقه — يظل رصيذاً منهجياً وقيماً قابلاً للاستثمار في مشروعٍ تجديديٍّ متوازن ويوصي البحث بإجراء دراساتٍ مقارنةٍ منهجيةٍ دقيقةٍ بين مشروع حنفي ومشاريع معاصريه لضبط المشترك والمختلف، وبتمحيص مدى ملائمة المناهج الغربية لقراءة النص الإسلامي تجنباً للإسقاط، وبدراسة أثر المشروع في الأجيال اللاحقة من الباحثين.

المصادر والمراجع

1. الجابر، عبد العزيز محمد. (2022). الإجماع ومآزق تجديده عند حسن حنفي. مجلة تبين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، (40).
 2. حنفي، حسن. (1980). التراث والتجديد: موقفنا من التراث القديم. القاهرة: المركز العربي للبحث والنشر (طبعات لاحقة: القاهرة، مؤسسة هنداوي).
 3. حنفي، حسن. (1982). دراسات إسلامية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
 4. حنفي، حسن. (1989). الدين والثورة في مصر، القاهرة: مكتبة مدبولي.
 5. حنفي، حسن. (1991). مقدمة في علم الاستغراب. القاهرة: الدار الفنية للنشر والتوزيع.
 6. حنفي، حسن. (1996). اليمين واليسار في الفكر الديني. دمشق: دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة.
 7. حنفي، حسن. (2017). من العقيدة إلى الثورة، القاهرة: مؤسسة هنداوي.
 8. حنفي، حسن. (2023). من النص إلى الواقع: محاولة لإعادة بناء علم أصول الفقه. القاهرة: مؤسسة هنداوي.
 9. سالم، أحمد محمد. (2013). إشكالية التراث في الفكر العربي المعاصر: دراسة نقدية مقارنة بين حسن حنفي وعابد الجابري. القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.
 10. عبده، عبد الفتاح محمد. (2021). التراث والتجديد عند حسن حنفي: بنية وتقويما وتأسيسا. حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، 25(80)، 775-824.
 11. مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث. (2023). التراث والتجديد: قراءة في مشروع حسن حنفي لتجديد أصول الفقه. الرباط: مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.
- المصادر الإلكترونية والدوريات
12. الجزيرة نت. (2022). حسن حنفي.. رائد علم الاستغراب وأبو اليسار الإسلامي. الدوحة: شبكة الجزيرة. <https://www.aljazeera.net>
 13. منصة كتابات الفكرية. (2024). إعادة الاعتبار للتراث وفق الهرمينوطيقا الفلسفية والحضارية. <https://kitabab.com>